(٧)

موجز قصة الإبداع العمراني الحضاري في الرياض

موجز

قصة الإبداع العمراني الحضاري في الرياض

ونقول: (موجز)؛ لأن الاستقراء الكامل، والاستقصاء التام لهذه القصة يقتضي إعداد موسوعة ضخمة من القطع الكبير: تنتظم ألوف الصحائف.

نصف قرن، والرياض تتمتع بإدارة سلمان لها.

لقد تولى إدارتها وهو في طور الفتوة والشباب المبكر.

وخمسون سنة (رصيد زمني) ثر خصيب يغني الإنسان العادي بالتجارب والخبرات والمعارف.

فكيف برجل ممتلئ ذكاء وفطنة ويقظة وهمة ورغبة في التوغل في التفاصيل وحرصاً على التركيز على الكليات والمقاصد وتفتحاً على التاريخ والعصر والمستقبل؟

إن رجلاً هذه خصائصه سيجعل من هذا المدى الزمني الممتد (وعاء) للإنجاز والترقي في الإنجاز.

سيجعل من هذا المدى الزمني (وعاء للإبداع): المتعدد المجالات: المتنوع الصور والمشاهد واللوحات.

وقد تحقق له ذلك بتوفيق الله وعونه.

الإبداع

في الرؤية والتخطيط والتطبيق

لم يعد بناء المدن[١] وتطويرها، خاضعاً للخواطر والمصادفة والارتجال والانطباعات.

وإنما يتطلب بناء المدن وإعمارها وتطويرها:

أولاً: رؤية مدنية حضارية بيئية متألقة الوضوح، ممتدة إلى أقصى ما يمكن أن تمتد إليه الرؤية في المستقبل.

ثانياً: تخطيطاً شاملاً متماسكاً: بكل ما يتطلبه التخطيط من معلومات يزخر بها الحاضر وتقديرات موضوعية يفد بها المستقبل.

- وهذه الرؤية المستقبلة الواضحة وهذا الطموح في التخطيط هو ما يفسر الإبداع الحضاري الضخم والأنيق الذي قاده سلمان بن عبدالعزيز عبر نصف قرن في الرياض.
- والإحصاءات والمعلومات والوقائع الموثقة تبرهن بعشرات البراهين أن لسلمان طموحاً - لا سقف له - في الترقي المتلاحق والمتسامي بـ (معشوقته) الرياض.

---

(١) يحرص علماء الحضارات والسكان والتاريخ والفنون المعمارية على (تأصيل) العلاقة التأسيسية والوظيفية بين نشوء المدن ونشوء النهضات.. راجع إن شئت ما كتبه العالم البلجيكي هنري بيرين في كتابه (المدن في العصو الوسطى) والعالم الإنجليزي أرنولد توينبي في كتابه (تاريخ البشرية).

ففي ضـوء رؤيته السـاطعة، وطموحه المسـتقبلي المتوثب أمر برسـم اسـتراتيجيات علمية هائلة: تحوّل الرؤية والطموح إلى دراسات موثقة، وخطط مفصلة، وخرائط متنوعة.

وبالسؤال عن الإحصاءات والمعلومات والوقائع التي تبرهن على ذلك يأتي الجواب المشبع: مكوّناً من محورين:

أ- المحور المجمل

ب- المحور المفصل

١- المحور المجمل:

لتحقيق رؤية سلمان وطموحه: وضعت أكثر من استراتيجية وخطة:

فهناك المخطط الهيكلي العام.

وهناك استراتيجية البيئة.

وهناك استراتيجية الإسكان.

وهناك استراتيجية التنمية الاقتصادية.

وهناك استراتيجية النقل.

وهناك استراتيجية المرافق.

وهناك خطة إدارة التنمية الحضرية.

وهناك المخططات الهيكلية المحلية.

وهناك استراتيجية الخدمات العامة.

وهناك مخطط استعمال الأراضي.

وهناك أنظمة استعمال وتطوير الأراضي.

٢- المحور المفصل[١] (تقديم نماذج):

أولاً: أنموذج من المخطط الهيكلي العام[٢].. نقرأ في هذا المخطط: «ارتكزت السياسات في قطاع التخطيط الحضري على عدد من الأهداف التخطيطية التي من أهمها:

أ- الارتقاء بمستوى وفاعلية وتكامل الشكل العمراني للمدينة من خلال الإدارة والتحكم والأفكار المتميزة في التخطيط والتصميم العمراني.

ب- تطوير المدينة بحيث تعكس دورها كعاصمة ومركز إسلامي وعربي رائد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ج- رفع مستوى معيشة السكان من خلال توفير بيئة عمرانية تحقق احتياجات السكان المختلفة، وتحافظ على التوازن بين الإنسان وبيئته.

---

(١) التفصيل نسبي - هاهنا - وإلا فإن إيراد التفاصيل كافة أمر متعذر جداً لوفرتها وكثرتها وتنوعها.

(٢) راجع المخطط الهيلكي العام: إصدار الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض لعام ١٤٢٤هـ.. ويلحظ أن هذا هو تاريخ إصدارات الهيئة التي رجعنا إليها والتي ذكرت في هذا الفصل.

هـ- رفع كفاءة توزيع واستعمالات الأراضي في المدينة، وخاصة فيما يتعلق بتوفير الإسكان وأماكن العمل والخدمات والأنشطة العمرانية الأخرى.

و - حماية وتطوير المناطق المفتوحة على مستوى الحي والمدينة والإقليم والمتنزهات الشريطية والمناطق العازلة وتحقيق (روابط بين المناطق والعناصر الطبيعية والتاريخية والتجارية الموجودة داخل المدينة وحولها).

ومن لوحات الابداع العمراني في المخطط الهيكلي العام:

- «تم إعداد توقعات لإجمالي الطلب على الإسكان لمشروع المخطط الاستراتيجي استناداً إلى فرضية الزيادة السكانية المتوسطة، فإن الطلب على الإسكان بناء على تشكيل الأسر ربما يتوقع له أن يزيد بمقدار خمسة أضعاف على مدى الحقبة من ١٤١٧هـ إلى ١٤٤٢ مقارنة بزيادة سكانية قدرها ثلاثة أضعاف ونصف».
- تتخلل (المضامين الأمنية) هذا المخطط - وهذه عين بصيرة في الهيكلة والتخطيط -.
- ومن يعايش سلمان بن عبدالعزيز يكتشف فيه خصائص وجوانب متعددة، في طليعتها (الحس الأمني القوي والعميق

والمتوقد) فهو قد يتساهل في هذا الأمر أو ذاك مما يجوز التساهل فيه.

أما حين يتعلق الأمر بـ (الأمن): أمن الناس.. والدولة.. والمجتمع، فإنه لا يقبل في ذلك تساهلاً ولا استرخاء ولا غض عين، بل يتحول - لفوره - إلى أسد غضنفر يزأر حول العرين، ويرد العادين على الأمن ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم.

من هنا نجد (الوظيفة الأمنية) قد تغلغلت في صميم المخطط الهيكلي الذي نقرأ فيه: «يساعد انفتاح الأحياء الحالية والضوابط العمرانية المتبعة وانخفاض الكثافة وضعف الجيرة وقلة الحيوية على حدوث الجريمة، حيث إن كثرة مداخل الحي ونفاذية شوارعه تهيئ الفرص السهلة لاقتراف الجريمة، لقلة احتمال التنبة إلى ذلك.

- ولكي تسد هذه الثغرات التي يتأتى منها ما يهدد الأمن فإننا نقرأ في هذا المخطط تحت عنوان (الأمان) ما يأتي: «إن من أهم الأبعاد التخطيطية للحماية الأمنية هي تقوية النسيج الاجتماعي عن طريق النسيج الفراغي الذي ينبع من المبادئ الإسلامية؛ إذ يجب توجيه تقسيمات الأراضي وتصاميم الشوارع والعناصر الفراغية لتتواكب مع النظام

الأيكلوجي[١] للإنسان، وهذا يشمل ربط الأنظمة الفراغية بالطبيعة الفطرية للإنسان ودورة حياته العمرية، وهو ما يعرف بالنطاقية، ويحتاج ذلك إلى توفير أماكن خاصة بالنساء والأطفال وكبار السن وحمايتها من تهديد حركة المرور وحرارة الشمس، وتوفير الخصوصية المطلوبة لها. كل ذلك يحفز ويظهر حيوية السكان والإحساس بالانتماء والوجود، وهي نشاطات تساعد في توفير أهم مطلب للحماية من الجريمة، وهو (المراقبة الذاتية). لذلك فمن الأفضل في هذه الحالة إيجاد خلايا سكانية اجتماعية قوية ومحمية، وذلك عن طريق الشوارع المغلقة[٢].

لذلك نجد أن أهم العوامل التي قللت الحيوية في الأحياء السكنية الحديثة هي العزل بين الاستخدام السكني والخدمات الأخرى، لذا فإن هناك أهمية لتحديد درجة مقبولة من الاختلاط بين السكن وبعض الاستخدامات، ولا سيما في مراكز محددة، وإيجاد محلات تجارية صغيرة واستعمالات أخرى داخل الحي، وذلك من أجل إضفاء نوع من الأمن والحيوية داخل الأحياء السكنية[٣].

---

(١) من دلالات هذا المصطلح ومفاهيمه: أنه علم البيئة. أو علم الأحياء البيئي. أو هو اكتشاف العلاقة التوافقية بين الإنسان ومحيطه البيئي.

(٢) راجع المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

ومن المسـوحات التي عملت ضمن المخطط الاستراتيجي: يتبيـن أن الأحياء المغلقة والقليلة المداخل تتمتع بدرجة عالية من الأمان مقارنة بالمخططات الشبكية، ويمكن إضفاء درجات من الخصوصـية على المداخل والخطوط الموصلة إلى أجزاء الحي المختلفة لتسـهيل تحكم سكانها بها، إذ إنه كلما قل عدد المساكن في الشارع الواحد ارتفعت درجة التحكم في الاتصال به لما ينتج عن ذلك من قوة في العلاقات والتكامل[١].

- وهـذه نظرة تخطيطية ثاقبـة وعملية، فـ (الأمـن) ينبغي أن يدخل في صميم النسـيج التخطيطي؛ لأن الجريمة تستعين بثغرات جغرافية وعمرانية في كثير من الأحيان.

ثانيـاً: الأنموذج الثاني: من الرؤيـة الإبداعية التخطيطية العمرانية عند سلمان بن عبدالعزيز الذي يقود - بدأب ومثابرة - الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض وعلى مدى أكثر من ثلاثة عقود (٣٤ سنة).

الأنموذج الثاني: نشاهده في (استراتيجية البيئة)[٢] وأول ما نشاهده فيها الشكل رقم(١).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع استراتيجية البيئة: إصدار الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

وهـذه دعـوة للتأمل الفكـري والحضـاري في هذا الشـكل البديع:

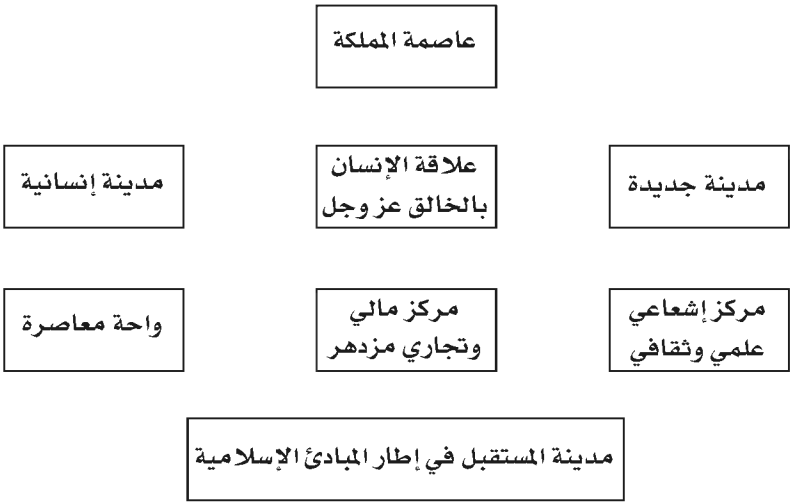

ماذا رأيتم في هذا الشكل أو هذه اللوحة؟

أمّـا الكاتب فقد رأى في هذا الشـكل التخطيطي العمراني الحضـاري: انتقال مفهوم (الإبـداع في ظل لا إله إلا الله) من دائـرة التفكير والقول إلى حيّـز (التخطيط العمراني).. رأينا في هذا الشكل:

١- أن علاقـة الإنسـان بالخالـق -عـز وجل- هـي محور هذا الشكل التخطيطي العمراني، فهي تتوسطه وترسل ضوءها على ما حولها، أي: على عاصـمة المملكة بحسبانها مدينة

جميلة +، مدينة إنسانية + مركز إشعاع علمي وثقافي + واحة معاصرة + مركزاً مالياً وتجارياً مزدهراً.

ب- ورأينا في هذا الشكل: أن قاعدة العمران الكبرى هي (المبادئ الإسلامية)، ولذا كانت جملة (مدينة المستقبل في إطار المبادئ الإسلامية) قاعدة الشكل البهي الذي شاهدناه آنفاً.

ألم نقل: إن سلمان بن عبدالعزيز (رجل جاد)، إذا قال صدّق قوله بـ(فعل جاد)؟

لقد قال: لنبدع في ظل لا إله إلا الله.

وها هو - في الميدان التطبيقي -: يصب مفهوم (علاقة الإنسان بالخالق عز وجل) في شرايين وقلب التخطيط العمراني الحضاري لمدينة الرياض.

ثم نقرأ - في استراتيجية البيئة -: الغايات التي تضمنتها هذه الاستراتيجية والتي تؤدي في مجموعها إلى إيجاد بيئة صحية نظيفة مواتية للسكنى والعمل والحركة والتنزه.

- **الغاية الاولى**: إيقاف تدهور الموارد البيئية بأنواعها والحفاظ عليها وخاصة غير المتجددة من خلال سياسات التنظيم والترشيد والمتابعة.

- **الغاية الثانية:** إعادة تأهيل وتطوير الموارد الطبيعية والمناطق الأثرية والتاريخية والحياة الفطرية المتضررة من عمليات التطوير الحضري السريعة التي شهدتها المدينة في العقود الماضية.
- **الغاية الثالثة:** حماية وتطوير موارد المياه المختلفة واستغلالها بشكل يضمن استدامتها.
- **الغاية الرابعة:** التحكم في مصادر ملوثات الهواء الثابتة والمتحركة والتلوث الضوضائي والحد من تأثيراتها.
- **الغاية الخامسة:** الحد من التلوث البصري الحالي، وتحسين الطابع البصري للمدينة.
- **الغاية السادسة:** الحد من الآثار البيئية للنفايات في المدينة وإعادة استعمالها وتدويرها.
- **الغاية السابعة:** الحد من استهلاك الطاقة وآثارها البيئية.

وتربط هذه الاستراتيجية نفسها بـ (التنمية المستدامة) فتقول: «إن الهدف الرئيس لمشروع المخطط الاستراتيجي الشامل لمدينة الرياض هو: تحقيق مبدأ الاستدامة في تخطيط وبناء مدينة المستقبل في إطار المبادئ الإسلامية

الحنيفة، وتُعد التنمية المستدامة من أهم المبادئ التي بنيت عليها الرؤية المستقبلة لمدينة الرياض كحاضرة كبرى تقع وسط الصحراء.

«ويمكن تعريف التنمية المستدامة في هذا الخصوص بأنها تلك التنمية التي توفر الاحتياجات الأساسية لجميع السكان مع توفير فرص تحقيق الطموحات لحياة أفضل دون المساس باحتياجات الأجيال القادمة.

■ «ويتوافق هذا التعريف مع المبادئ الإسلامية في المساواة فيما بين الأجيال الحالية من جهة وبينها وبين الأجيال القادمة من جهة أخرى؛ إذ إن الإنسان لا يملك الأرض ملكية أبدية، وإنما هو كائن مستخلف فيها حتى يوم القيامة أخذاً بمبدأ (الخلافة في الأرض) الذي ورد في القرآن الكريم».

■ من يتصور أن استراتيجية البيئة ترتبط بفلسفة الإسلام في المساواة بين الأجيال في الانتفاع بمنافع المحيط البيئي؟.. وأن هذه المساواة الحضارية العمرانية مبنثقة من مبدأ إسلامي وهو: أن بيئته العمرانية مفتوحة للأجيال المتعاقبة: كل ينبغي أن يأخذ حظه من فرصها كافة دون أن يمتلكها - بإطلاق - أو يحتكرها جيل واحد؟.

من يتصـور هذا الجمع المتناغم بين (الروحية والمادية) والتوكيد على التساوي المتناغم - كذلك - بين حظوظ الأجيال المتعاقبة مهما امتدت حياتها في الزمن الآتي؟.

إن هذا التصـور (غائـب) عن أذهان الكثرة البشـرية في عالمنا هذا، بل هو غائب عن وعي معظم المسلمين.

- **لكـن هـذا التصـور** لـم يكـن غائباً عـن (وعي) سـلمان بن عبدالعزيـز.. فنحـن مقتنعـون بأنه هو وراء هذه اللمسـات الثقافيـة والفكريـة والروحيـة الإسـلامية فـي التخطيـط العمراني لمدينة الرياض.

■ حجتنا في ذلك:

أ- المعايشـة التي عرفنا من خلالهـا أنه يحرص على ربط الحاضر والمستقبل بـ(المنابع الإسلامية) في التشريع والثقافة والتاريخ والعمران (وهذا هو موضـع الشـاهد ها هنا).

ب- أنـه يرأس الهيئـة العليا لتطوير مدينـة الرياض، وهو رجـل لا يرأس الهيئات لمجرد توزيع فرص الكلام على المجتمعيـن، بل هـو رجل لـه رؤيته ورأيـه وطابعه في اتخاذ القرار، دون الإخلال بمقتضيات الشورى.

ج- الحجة الثالثة هي: أنه يحرص على إنفاذ (مفهوم الإبداع)

في ظل لا إله إلا الله في التخطيط العمراني الحضاري لمدينة الرياض التي يهيم بحبها هياماً عجباً.

ثالثاً: الأنموذج الثالث من الرؤية الإبداعية التخطيطية العمرانية عند (مهندس) مدينة الرياض: (استراتيجية الإسكان)[١].

والاستراتيجية مستفيضة.. ولعل المضامين الثلاثة الآتية كفيلة بأن تقدم صورة عنها.

أ - مضمون (البنى الأساسية) للاستراتيجية.. وتتمثل هذه البنى في (المصادر) المعرفية والمعلوماتية والميدانية التي اشتقت منها الاستراتيجية: بناءها ونسيجها وهذه المصادر المعرفية الميدانية هي:

- «مراجعة ومناقشة الاقتراحات والطروحات الواردة من مختلف الأفراد، ومن ذلك ما يتم طرحه عبر وسائل الإعلام المختلفة[٢].
- مشاركة بعض فئات المجتمع في حلقات النقاش الخاصة بهذه الاستراتيجية.

---

(١) راجع استراتيجية الإسكان: إصدار الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

(٢) من التقدير لوسائل الإعلام والجدية في التعامل معها: اعتمادها مصدراً من مصادر التعرف على احتياجات الناس واتجاهاتهم.

- استطلاع آراء السكان بمستوياتهم كافة تجاه مختلف القضايا الحضرية عن طريق المسوحات الميدانية».

«وأسفر هذا الجهد المعرفي الميداني عن منظومة من التقارير بلغت عشرين تقريراً هي:-

١ الخصائص الاجتماعية لمدينة الرياض.

٢- المنظور الاقتصادي.

٣- استعمالات الأراضي.

٤- الشكل والهيكل العمراني.

٥- تحديد مناطق الدراسات التفصيلية.

٦- الإسكان.

٧- التطوير الصناعي.

٨- الموارد البيئية.

٩- الخدمات العامة.

١٠- المناطق المفتوحة.

١١- المرافق العامة.

١٢- النقل والمواصلات.

١٣- الإطار الإقليمي.

١٤- الإنسان والعمران.

١٥- مواصفات نظام المعلومات.

١٦- علاقة نظام المعلومات الحضرية بمتطلبات الاستراتيجية الحضرية.

١٧- الرياض: رؤية مستقبلية.

١٨- الأنظمة والتشريعات الحالية ونظم العمران.

١٩- الأنظمة التخطيطية المقترحة والهياكل التنظيمية.

٢٠- التقرير النهائي للمرحلة الأولى.

ب- مضمون (النمو السكاني).. نقرأ في استراتيجية الإسكان عن هذا النمو: «مدينة الرياض هي عاصمة المملكة العربية السعودية وواحدة من أسرع مدن العالم نمواً، وقد تجاوز معدل النمو السكاني فيها ٨٪ سنوياً، وتشير التوقعات إلى أن عدد السكان يمكن أن يصل إلى ما يقارب ١٧ مليون نسمه في عام ١٤٤٢هـ إذا استمرت نسبة النمو الحالية، فيما بنيت توقعات المخطط الاستراتيجي على عدد سكان يصل إلى

١٠,٥ مليون نسمة في عام ١٤٤٢هـ. وتبلغ مساحة المناطق المطورة في المدينة حالياً حوالي ٩٥٠ كيلو متر مربعاً، فيما يقدر نطاقها العمراني المقترح حتى عام ١٤٤٢هـ بحوالي ٢١٣٠ كيلو متر مربع ويعكس ذلك التوسع الكبير الذي تشهده المدينة لتصبح ضمن أكبر ثلاث مناطق حضرية في المملكة وحاضرة من حواضر العالم البارزة.

إن هذا النمو المستقبلي تطلب وضع مخطط استراتيجي شامل يواكب هذا النمو المتسارع، ويحقق احتياجات المدينة، ويكون مظلة رئيسة للدراسات والخطط والأفكار والتصورات المتعلقة بتطوير وتنمية مدينة الرياض مستقبلاً.

ج- مضمون (القيم السكانية).

من خصائص الإبداع العمراني الحضاري في الرياض أنه ليس مجرد أبنية وشوارع وأسواق ومصانع.. إلخ.

هو كذلك من الناحية العمرانية ذات الطابع المادي، ولكنه - مع ذلك يتمتع - بخاصية (فريدة): خاصية (انسياب القيم الدينية) في نسيجه وتركيبه.

أتريدون دليلاً موضوعياً على وجود هذه (القيم السكانية) الإسلامية في صميم استراتيجية الإسكان؟

هذا هو الدليل.. نقرأ في هذه الاستراتيجية - تحت عنوان الشريعة الإسلامية والبيئة -: «من البدهي أن تسهم الشريعة والمبادئ الإسلامية في توجيه التخطيط في المدينة بما في ذلك الأحياء ونمط الإسكان.

وهناك مبادئ وضوابط سكنية متكاملة في التراث العمراني الإسلامي موثقة في مراجع ومؤلفات، وقد انعكست على المدن الإسلامية، ويمكن استشفاف ما يأتي منها:

- تهدي الشريعة الإسلامية إلى زيادة حجم الأسرة الصالحة النافعة بوجه عام.
- الاستعانة بالأسس الإسلامية في اقتراح متطلبات الأمان والخصوصية والجيرة ودرجة التنوع والاختلاط في الإسكان وكثافتها.
- التركيز على المبدأ الإسلامي في العمران الذي يركز على الأداء الجوهري النوعي النهائي للحي بدلاً من التوجيه عن طريق الضوابط العمرانية الجامدة.
- وضع أسس لحقوق الملكية والاستخدام والمشاركة في الخدمات والمسؤولية تعتمد على الشريعة الإسلامية.

- تحمل السكان المسؤولية في توجيه خدماتهم وشوارعهم الخاصة وترك الشوارع المهمة للجهات الحكومية.
- تجديد النظر في العناصر العمرانية الإسلامية ودورها الإنساني في حياة السكان: كالمسكن الفنائي، والشوارع غير النافذة، والأحياء المغلقة، والساحات، والتدرج الأيكلوجي العضوي الفراغي، والأسواق والتظليل وغير ذلك ».

■ والأمانة العلمية تقتضي الشهادة بأننا نلمح في هذا (التخصيب الإسلامي) لنهضة العمران الحضاري في الرياض يد صاحب نظرية (الإبداع في ظل لا إله إلا الله).

الجمال والبهاء:

تلك نماذج ثلاثة توضح - بإيجاز - (ملحمة التخطيط العمراني الحضاري الكبرى) في مدينة الرياض.

والعين الذكية تلحظ أن هذا التخطيط ليس جافاً ولا معتماً ولا عابساً.

إنما هو تخطيط يقطر جمالاً وينضح ملاحة وبهاء.

نعم.. لم ينحصر الإبداع التخطيطي العمراني في (الوظيفة المادية الضرورية) التي تمكن الناس من الكدح والحركة: أداء للأعمال وتحصيلاً للمعايش.

إننـا نلتقي فـي هذا التخطيـط بـ(وظيفة أخـرى).. نلتقي بلمسة أو (ريشة الجمال والرواء)

ولسـنا نثبت شيئاً إلا وهو مقرون بالدليل عليه.. فما الدليل على (الجمال) في هذا التخطيط؟

١- نقرأ الدليل في التقرير الشـامل[١]، وهي قراءة مركبة من نقطتين: نقطة (الشـجاعة الفائقة) في تقويم ونقد ظاهرة انخفاض مناسيب الجمال لأسباب عديدة.. ونقطة (الإرادة الصـلبة) العازمة على إعلاء مناسـيب الجمـال ومدّ رواقه وروائه وبهائه في كل ناحية.

أولاً: نقطة الشـجاعة في النقـد[٢].. فقد ورد في التقرير: «تعد مدينة الرياض في الوقت الحاضر من أجمل المدن العربية، وذلك لمـا تتمتع به من مقومات جميلة هنـا وهناك، ومع ذلك فإن المدينة تفتقر إلى هوية واضحة في الشكل العمراني، حيث تنتشر الأنماط العمرانية التي لا تتناسب مع البيئة المحلية، كما تفتقد المناطق الخضراء، ويغيب تنسيق المواقع في العديد من

(١) راجع التقرير الشامل: إصدار الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

(٢) تعود الناس: الابتعاد عن نقد ما يديرون من أعمال وما يشرفون عليه من شؤون، ولكن سلمان لا يَوْجل من النقد البناء قط لأنه ليس عنده ما يخافه أو يخفيه، ولأنه مقتنع بأن النقد البناء يسهم في البناء.

الميادين والساحات، كما شهدت المدينة تعدياً على المظاهر الطبيعية المميزة فيها: من أودية وتلال وربى، وهو ما يعني فقدان الكثير من الموارد الجمالية في المدينة، حيث تم فقدان العديد من الأودية الفرعية في وادي حنيفة: نتيجة إهمال تلك الأودية في أثناء التخطيط وبناء تلك الأحياء وعلى الأخص في غرب الوادي، ويُعد استغلال الأودية في تصميم حي السفارات مثالاً حياً لاستغلال جمال الطبيعة.

ثانياً: نقطة (العزيمة التخطيطية) على صب الجمال صباً في عمران الرياض وعلى نحو يقلص - إلى أدنى حد - المظاهر غير الجمالية، ويوسع - إلى أقصى مدى - بُسط الجمال، ومعالمه، ومناظره، ورونقه.

نقرأ في التقرير الشامل - أيضاً -: «وعليه - بناء على ما تقدم - فقد تمت صياغة الرؤية الاستراتيجية على النحو الآتي:

أن تكون الرياض (مدينة جميلة) تتمثل في شكل عمراني متميز متكامل مع الحياة الاجتماعية والثقافية، ومركزاً للثقافة والفنون الإسلامية.

«ولذا فإن هناك العديد من الأهداف التي يجب السعي نحوها للوصول إلى (المدينة الجميلة).. ومن أهم هذه الأهداف: أن تكون مدينة الرياض:

أ- مركزاً يعكس الثقافة الإسلامية المحلية كما يعكس تطور الطابع والشخصية التي تتناسب مع عاصمة المملكة.

ب- مركزاً يحقق انسجاماً عمرانياً يتضح من خلال توزيع متناسق وعملي ووظيفي للمناطق العمرانية وعناصرها، وبما يسهل قراءة وفهم المكان ويسر الانتقال على المستويين: المحلي والحضري.

ج- مركز المحافظة والتعامل مع المظاهر الطبيعية والخصائص البيئية.

د- توفير التنوع المكاني على المستويات العمرانية للأنشطة الاجتماعية والمناسبات العامة والاحتفالات، وجعلها ضمن هيكل المدينة العمراني، وجزءاً من حياة السكان.

هـ- مركزاً يحقق بيئة عمرانية جيدة من خلال توفير ممرات آمنة للمشاة ومحببة توفر المناخ المناسب، وتقلل من مسببات الإزعاج (مثل التلوث البصري والسمعي الناتج عن الإضاءة المربكة والضجيج المزعج).

و- مركزاً يطبق أفضل مستويات التصميم العمراني والمعماري في تصميم الأماكن العامة والخاصة بما يحسن مكانة العاصمة ويجمّل محيّاها.

ز- مركزاً يحقق الاستمرارية والتنوع في الطرز المعمارية المحلية، ويؤكد الرموز الثقافية والعناصر التاريخية في البيئة المبنية على المستوى المعماري والعمراني(سلسلة من الفراغات[١] العامة ترتبط بشكبة مشاة آمنة وجميلة) وتستوعب ما يجد من اتجاهات التنمية المعاصرة.. كل ذلك في تخطيط عمراني يحقق شكلاً مترابطاً عالي الجودة.

ح- مدينة ذات بيئة عملية وجذابة تشجع السكان على توسعة أنشطتهم خارج مساكنهم على مستوى الحي والمدينة.

ط- مدينة يتوافر فيها عدد كبير من الأماكن الترفيهية في صورة متنزهات عامة ومحميات طبيعية (وادي حنيفة أنموذجاً).

٢- ونقرأ في المخطط الهيكلي العام فيما يتعلق بـ(عنصر الجمال)..: «تم تحديد العديد من المواقع ضمن استراتيجية وادي حنيفة حيث إن الوادي يشتمل على أغلب المواقع التاريخية والأثرية في المدينة، وبعض المناطق ذات القيمة

(١) الفراغات خاصية جمالية في الفن المعماري المتميز في الحضارة العربية الإسلامية.

الجماليــة، كما تم تحديد بعض المناطق التاريخية والأثرية ضــمن نطاق المدينة وحولها.. وتمثل تلك المواقع: المناطق ذات الأهميــة التاريخيــة والأثريــة والجماليــة التي يخطط لحمايتها واستغلالها لأغراض السياحة والترويح.

ويُعد تصميم قصر المربع وإنشاء المتحف في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي أحد المشاريع الرائدة التي تمثل أنموذجاً موحيــاً بالمحاكاة في الاســتفادة من المناطــق التاريخية، كما يمكن الإشــارة إلى مدينة الدرعية القديمة وأهميتها التاريخية بالنســبة للمملكــة العربية الســعودية حيث تم اعتماد مشــروع لإعادة تطوير منطقة الدرعية القديمة.

وتعد القيــم الجمالية للعديد من المواقع - ولاســيما نقاط المشــاهده علــى ضــفاف وادي حنيفــة وجبال وحــوافّ طويق المطلّة على سهل ضرما والمناطق الجنوبية المطلّة على وادي لحا، إضــافة إلى مواقع فــي متنزه الثمامــة وغيرها - تُعد من الفرص ذات القيمة الجمالية العالية».

■ **سؤال في إبّانه: ما علاقة الجمال بالتوحيد؟**

والســؤال البدهي الذي يفد - هاهنا - هو: سلّمنا أو اقتنعنا بأن التخطيط العمراني الحضاري للرياض قد انتظم أو انسابت فيه (عناصــر جمالية)، ولكن ما علاقــة الجمال بالتوحيد في ضوء مفهوم (الإبداع في ظل لا إله إلا الله)؟

إن العلاقة بين الموضوعين وثقى: أعمق وأقوى ما يكون الوثوق.

صحيح أنه قد ظهر في أدبيات من التراث الإسلامي، وكذلك في أفكار بعض المسلمين في عصرنا هذا: ما يضعف (قيمة الجمال) في الحسن الفردي والحياة العامة، بحسبان أن الجمال يتناقص مع الزهد وحياة البساطة والتواضع.

بيد أن هذه الأدبيات والأفكار (متناقضة) مع منهج الإسلام وتعاليمه ومقاصده وحقائقه.

وحين يحصل نزاع في مثل هذه القضايا، فإن مرجعية الكتاب والسنة هي التي تحسم النزاع: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴿٥٩﴾﴾[١].

والكتاب والسنة يعلّمان الناس (الجمال) كما يعلّمانهم العبادات المخصوصة.

١- **إن (الجمال)** أصل في (الاعتقاد)، فالله جل ثناؤه جميل، ولقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[٢].

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) رواه مسلم.

٢- **والجمال**: أصل في الكون، فهذا الكون ليس محض حركة وظيفية مادية، بل هناك (الجمال الباهر) في تضاعيفه ومظاهره: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦﴾[١] فللكواكب وظيفة كونية معروفة.. أما (الزينة) فمفهوم جمالي تبصره العين، ويتملاه الوعي، ويتمثله ويتذوقه: الحس والشعور.

٣- **والجمال** أصل في حياة الناس:

أ- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ... ۝٣٢﴾[٢].

ب- ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾[٣].. فثمة حاجات مادية شتى يلبيها وجود الأنعام: الجلود والركوب ولحوم التغذية، ولكن فيها كذلك (متعة الجمال) حين السّرْح بالغداة وحين الروح بالعشي.

٤- إن الحياة والمدن ليست أسواقاً ومباني وشوارع جافة، فهناك الرواء والبهاء الماثلين في (بهجة الحدائق وجمالها)..: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ... ۝٦٠﴾[٤].

---

(١) الصافات: ٦.
(٢) الأعراف: ٣٢.
(٣) النحل: ٥-٦.
(٤) النمل: ٦٠.

ولنكشّف الضوء على مضمونين - بوجه خاص - تسطع فيهما حقيقة الترابط بين التوحيد والجمال.

أ- **مضمون**: إضافة (الزينة) إلى الله -جل شأنه- في آية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴿٣٢﴾﴾.. فمن التوحيد أن نعلم أن من مرادات الله في الكون والحياة بث (الزينة)، وأن نعلم أنه من نواقض الإيمان أو من علامات ضعفه: الاستخفاف أو الحط من قيمة الزينة؛ إذ هي مضافة إلى الله الجميل (بديع) السموات والأرض: تباركت أسماؤه.. وهذا إعلاء لقيمتها بلا ريب.

ب- **مضمون** أن (منظر البهجة) في الحدائق من دلائل الربوبية، بل من دلائل الألوهية، ولذلك جاء السؤال في الآية ذاتها: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ...﴿٦٠﴾﴾.

فيكف يؤمن بالله على نحو صحيح ويوحده كما ينبغي توحيده من لا يستشعر هذه البهجة الرائقة النضرة، ومن لا يفتح حسه كله لاستيعاب جمالها وعطرها الفواح؟!.

لقد قام البرهان - من ثم - على وثوق العلاقة بين التوحيد والجمال.

■ ولا نبرح نَذْكُر بالفضل والتقدير سلمان بن عبدالعزيز الرجل الذي (جدّد الإحساس) بهذا المنهج أو هذا المفهوم (مفهوم الإبداع في ظل لا إله إلا الله).

■ **ومن دلالات هذا المفهوم الأصيل الكبير** أن هناك علاقة بين (الجمال) و(الإبداع).

فمن مفاتح الإبداع وموحياته ومنشطاته: الإحساس القوي المتوهج بالجمال.. وتربية هذا الإحساس وتقويته.. فملكة الإبداع مركوز فيها - بالضرورة - الإعجاب بالمثال العظيم والنظرة الجديدة إلى الشيء، والافتتان بما في الكون من جمال وإبداع، والاستجابة الخلاقة للإثارة النزّاعة إلى الفعل الفريد.. فهذه كلها أحاسيس جمالية حافزة على الإبداع.

الإبداع في التطبيق:

يظل الإبداع التخطيطي معلقاً أو في (الدائرة النظرية) حتى ينزل إلى أرض الواقع بـ(الإبداع التطبيقي).

والابداعان يشبهان: أو يمكن التمثيل لهما بـ (البحث العلمي وتطبيقاته).

فالبحث العلمي يظل في هذه الدائرة حتى تحوله يد التطبيق إلى صناعات متنوعة أي: إلى (تكنلوجيا) أو (تقنية).

■ وهكذا فإن سلمان بن عبدالعزيز قرن التخطيط بالتطبيق.

والتاريخ لهذا العمران العظيم يوجب الإنصاف.. فحين نقول: (سلمان) فلسنا نعني بذلك أنه رجل فعل (كل شيء)

بمفرده، فهناك رجال معه كان لهم دورهم الكبير[١]، وإنما نعني أنه كان ولا يزال (قائد) هذه الملحمة العمرانية الحضارية الضخمة وغير المسبوقة في جزيرة العرب على مستوى مدينة الرياض.

إن (معظم) هذا التخطيط أخذ طريقه إلى التنفيذ والتطبيق، وبالمقارنة بين الرياض قبل خمسة عقود وبين (رياض اليوم) يتبين أن الرياض تبدلت وارتقت إلى الأفضل أكثر من ثلاثين أو أربعين مرة !!!.

- في سعتها وامتدادها: طولاً وعرضاً.
- في شوارعها وطرقها.
- في جسورها وأنفاقها.
- في مبانيها ومجمعاتها وأسواقها.
- في مدارسها وكلياتها وجامعاتها.
- في مستشفياتها ومستوصفاتها.
- في ميادينها ومداخلها ومخارجها.
- في سكانها.
- في إداراتها ومؤسساتها.

(١) العلاقة التعاونية التضامنية، مبدأ اجتماعي أخلاقي جليل وجميل أرساه الإسلام. فحين يُذكر النصر - مثلاً - ويُذكر النبي - يُذكر معه أصحابه!!.. ومن ذلك قول الله جل شأنه - مخاطباً نبيه - ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ.﴿٦٢﴾﴾[**الأنفال** :٦٢].. وتشرف على تطوير مدينة الرياض هيئة عليا تتكون من نخبة من الكفاءات الوطنية تمثل مقطوعة متنوعة من الوزارات والمؤسسات الوطنية. ويرأس هذه الهيئة الأمير سلمان بن عبدالعزيز، وينوب عنه في رئاستها الأمير سطام بن عبدالعزيز نائب أمير منطقة الرياض.

- في قاعاتها ومراكزها الثقافية ومكتباتها.
- في مياهها وكهربائها.
- في أشجارها وحدائقها.
- في خدماتها العامة.

القفزة الحضارية العظمى.

وفي هذا العام ١٤٢٨هـ قفزت الرياض قفزة عمرانية حضارية عظمى. إذ رُصد لتطويرها وترقيتها ١١٨ بليون ريال ستتحول -على سبيل المثال- إلى:

أ - قلعة اقتصادية كبرى.

ب- شبكة مالية عملاقة تنتظم مقر السوق المالية.. ومقار المؤسسات المالية الأخرى.. وشركات التأمين.. والبنوك.. ومكاتب المحاسبة والمحاماة.

ج- شركات تقنية المعلومات.

د- مشروع مجمع الاتصالات والمعلومات الذي سيقام على مساحة تبلغ ٨٠٠ ألف متر مربع ويشمل هذا المجمع شركات إنتاج وصناعة البرمجيات.. ومباني للأبحاث والتدريب والتطوير وقاعات للندوات والمحاضرات.

هـ- حدائق الملك عبدالله العالمية.

و- متنزّه الملز على مساحة ٩, ١مليون متر مربع.

ز- ٢٣٨٦ كيلو متر من الطرق الجديدة.

ح- ١٥ مستشفى و١٦٢ مركز صحي.

ط- ٩ كليات تقنية.

ي- ٢٨ معهد تدريب عالٍ للبنات.

ك - ٧٦٨ مشروع تعليمي.

- هذه هي الملحمة العمرانية التي قادها سلمان بن عبدالعزيز على مدى نصف قرن:

١- تخطيط عمراني حضاري طموح وواسع النطاق وشامخ.

٢- تعزيز وتأكيد بتطبيق متين البنية، رحب المدى، جميل الوجه، وهذا كله تصديق وتطبيق للمبدأ العلمي والعملي العظيم الذي يؤمن به هذا الرجل الكبير أيّما إيمان: مبدأ «لنبدع في ظل لا إله إلا الله».